صروف

Sarruf.

تأبين عميد « المقتطف »

نظمت هذه القصيدة الجامعة تلبية لدعوى لجنة التأبين العامة في القاهرة لتنشد في حفلة الذكرى الكبرى.

كونت البابا وسست عقولا ... فتلق أنت وفاءها المعقولا
ودرست فلسفة (الحياة) وزدتها ... شرحا ، فمي بيانها المأهولا
في العيش مثل الموت عمرك هكذا ... عمر يزيد على التألق طولا
ان انس لا أنس الوداع وحرقة ... في النفس اورثت الجنان ذهولا
فسخطت من غدر (الطبيعة) ناسيا ... سنن (الطبيعة) والحياة الاولى
صفحا ، فقدوك في مقام تجلتي ... ابدا ، ولن يلقى لدي اقولا
وأنا الذي ناجاك طول حياته ... وقد انتقلت ولم ازل مشغولا
بالامس حيرني الفراق وهدني ... واليوم تلهمني الصواب حلولا
فاراك في هذا الوجود اشعة ... وعقيدة ومآثرا وميولا
صور تبين لباحث متبصر ... وتعاف من خلل الحياة جهولا

§§§

(صروف) ـ والدنيا حديث ضيافة ـ ... قد كنت للبذل العظيم رسولا
منح من الاداب والعلم الذي ... ترك الوجود مهذبا مصقولا
دعني احدث عن خلالك اولا ... فالمرء كان بخلقه مكفولا
لا خير في أدب لمن لم يتخذ ... من طبعه طبعا ومنه اصولا
وحييت أنت بنهج خلقك مؤمنا ... وعرفت للقول السديد فعولا
فسكنت في برج الجلال مؤهلا ... ورقيت إيمانا ، وجزت فحولا
خلق ينم عن الازاهر للنهى ... عزما ، ولكن لا يصيب ذبولا
يفتر بالاخلاص في احسانه ... فتدوم تعشق حسنه المبذولا
جم التواضع في كرامة عالم ... تتخذ التواضع ستره المقبولا

متبسم لجليسه في هزة ... تسقي الحديث مرنقا معسولا
شم الخلال وديعة وكريمة ... مثل الجبال اذا انحدرن سهولا!
مثل الطبيعة في تبسط لطفها ... نشرت على بسط المروج غسولا(١)
وحبت بحلة النمسار شهية ... عرضا ولم تترك لنا مأمولا
كان المحدث لايمل اطالة ... وعصمت من طبع يعد ملولا
كالنبع جياشا بمتعة عاشق ... لحديثه ، او كالبواسق طولا
تحنو على النظار عند تأمل ... وتجيب مابقي السؤال سؤولا
لم ينسك المال الذي احرزته ... بالفضل حقا للورى مجهولا
فوضعت مالك جنب علمك نفحة ... للناس في صحف وقين نحولا
وجعلتها مثل الزكاة سخية ... تحيي مواتا أو تعيد طلولا
ما كنت في هذي الحياة ممثلا ... بل كنت من وضع الفخار فصولا
خمسون عاما بل أجل بذلتها ... بذل الكواكب نورها المسؤولا
ما بين معركة وبين سكينة ... تركت بشاشتك العدو خجولا
وكسيت بالاخلاص كل مكرم ... شيم الرجال عقيدة وميولا
درر من الاخلاق كانت ثروة ... كبرى ولم تسب الورى لتحولا!

§§§

(صروف) ماقينا المعزي : كلنا ... فقد العزاء ودمعه المطلولا
عشت (المسيح) لنا ، وكنا كلنا ... رسلا ، ودمت على الهدى مجبولا
وشكرتنا قبل الوداع ، ولم يكن ... شكر الوداع بظننا (اليوبيلا)
هذي صحائفك اليتيمة لم تجد ... شرفا تخص بها وكنت بخيلا
عصمتك احكام العلوم من الهدى ... وحميتك من حسب الجنان أثيلا
نقبت في الاجيال عن اسرارها ... ونشرتها جيلا لديك فجيلا
لا (آدم) المأثور صدك عن هدى ... بحثا ، ولا أغنى اليقين فتيلا
من كل (مقتطف) تنوع بحثه ... وتوحدت ابحاثه تنزيلا
من كل سفر حجة بفنونه ... ما فيه فن قد يراك دخيلا
ما كان منطقك الحكيم مسخرا ... للوهم مهما سامنا (٢) تقتيلا

(١) الغسول : نبات مزهر كثير التبسط ، فرمزى الزهر أو نفسجيه .
(٢) اى الوهم .

هيهات يذعن للمظاهر وحدها ... ولكم اقام على الدليل دليلا !
علم وفلسفة وفن سائغ ... حولتها لتعيشنا تحويلا
بعبارة خلابة غلابة ... تروي المدارك كوثرا وشمولا
وتبحر بعيا الجري، بجهده ... مافات للبحث الجري، سبيلا
فيدورة (الافلاك) او بطن (الثرى) ... أو عالم (الاحلام) كان نزيلا
لاشيء يحسبه الحقير وانما ... وجد (الوجود) بما حواه جليلا
فيرتل الآيات ملء بلاغة ... تستأهل الاصغاء والترتيلا
داع الى اقصى التأمل مثلما ... جعل (التفاؤل) للحياة دليلا
واذا الحياة كبت فذاك لانها ... فقدت قبيل عثورها التأميلا
عشرات آلاف الصحائف قد شدت ... بحجاك واستبقت حجاك زميلا
آراء جبار وحكمة كاهن ... وكتاب اعجاز يشع مديلا
نظرت له (الاحقاب) من اسفارها ... في حيرة مما وصفن رحيلا
فكانما قد كنت انت مصاحبا ... اسفارها فرسمتها تحليلا !
ومفاخر (الآثار) - وهي شهيدة - ... فخرت بعلمك موئلا ومقيلا
ومظاهر (العمران) - وهي كثيرة ... في (الشرق) - لم تعدم لديك خليلا
و (الفكر) - وهو لناقوام حضارة - ... بجلته حتى استعز نبيلا
لم تلقه عرضا ، ولم تأنس به ... طمعا ، ولم تبذل له تطفيلا(٣)
بل كنت ملجأه الحصين ومبعثا ... للنور في بلد أسيء طويلا
تغذوه بالذهن البصير مصارحا ... للحق لاتتصيد التهليلا
متتبعا نهج الصواب ، مجافيا ... نهج الغلو ، وان اصبت قليلا
حتى تركت مني (الحقيقة) وحدها ... تهدي لرأسك شكرها اكليلا
ما ضر مثلك ان يخص بحبها ... لو فات من حب الانام قبيلا
لكن ظفرت بحبها وبحبنا ... وعدمت في القدر الاعز مثيلا
من عهد (اسماعيل) في اجلاله ... مسعاك زدت بشبل (اسماعيلا)
وطويت عمرك دون من أو مني ... إلا الوفاء لما غرست ظليلا !

(٣) تطفيلا = تطفلا .

يا ابن (الصحافة) ثم شيخ قضائها والمحسن التبيين والتدليلا
ومعلما بشبابه ومشيبه تسمو بسيرته الايادي الطولى
(لبنان) (كالحدث) الذي ولدت به هذي الشمائل لا يباهي (النيلا)
كلاولا (بردى) ولا (الفيا) التي أمتعتها معا منحت جزيلا
إن انت إلّا عالمي : مهده كل (الوجود) فلم يعش مخذولا
بل كان أهلا للبرية كلها لا يعرف الايثار والتفضيلا
إلّا الرعاية للفقير المجتبي جدواه . لا يبقى بها مخذولا
كم امة هذبتها ووهبتها محض الشهامة وزدتها تأهيلا
فاذا انتسبت فما انتسبت حقيقة إلّا لفضل لم يكن مجهولا
اما الممالك والعباد فانهم عرفوك - جما - فاتحا ورسولا
كل يراك زعيمه وصديقه ومواطنا وسلاحه المسلولا
وأرى خيالك مايزال عزيزهم متمثلا في همهم وشؤونهم فيحل معضلة ويصلح قيلا
وبريق عينيه يشف كعزمه عن حد ذهن لن يموت فليلا
وجبينه الوقاد مطلع نورهم وجلالة حفظوا لها التكليلا
اعددت ثورات وقدت كتائبا للرأي ثم نصرتها موصولا
ماخانك الاقدام يوما والآل عشقوك ان خان الزمان ذليلا
فبلغت مجدك بالمواهب وحدها تقتاد شبانا بها وكهولا
اين الذين يتابعونك حاملا علم الشباب فيزدهي محمولا؟!
ماكنت تغفل جهدنا وحقوقه بل كنت ترعى حرمة واصولا
وتشجع البطل الصغير ليمتلي وتصغر الرجل الحسود مهولا
لك في دمي حق الوفاء فخلني أحيي كما يرضى الوفاء جميلا
كرمت لي ادبا كأنك موجدي او عشت للادب الجديد كفيلا
في جم اخلاص وجم صراحة لاتقبل التغرير والتمثيلا
ولكم تحكم جاهل او عابث ومن المصائب ان نطيع كليلا
و(الجهل) في دست الزعامة نكبة لن تنمحي عمرا ولا تاويلا
تخذ (الصحافة) للمهازل مهنة فاثار داء في النفوس وبيلا

فمحرما طورا زهور (٤) مؤلف ... وعاريا همم الشباب عجولا
ومرتلا آنا مديح نقائص ... لولا المدائح لم تكن لتجولا
قد كنت عونا (للنبوغ) وطالما ... اردى (النبوغ) الحاسدوه قتيلا
أبكيك في شعري ،وفي نثري ، وفي ... فكري ، كما ابكي الرياض حيولا(٥)
و اكفكف العبرات ، لكن شانها ... باق ، فدمعي لن يزال همولا
ومن المدامع ظاهر وعجيب ... ما كل وجه نائح مبلولا!
تجري الدموع الخافيات بخاطري ... وبكل احساسي هوى مبذولا
وتفيض من قلمي فأنظم هكذا ... هذا النظيم عواطفا متبولا(٦)
وأؤبن (الفضل) الذي لابائه ... لا فاضلا نلفى ولا مفضولا!

§§§

والان هل تكفي شؤون براعتي؟ ... حبس العواطف قد يكون قتولا!
هيهات تكفي !... فالنظيم وحرقتي ... يتبادلان مناحة وعويلا
أرثي فارثي فيك أنفس ما ارتقى ... ذهني واحلامي له تبجيلا
من بهجة (كالانسان) في استهلاله ... خلقا وفكرا مسعفا وجميلا
ومن انتهاء (العبقرية) و (الحجى) ... لنهاية تستوجب التنويلا!
ومن (التسامح)في الحياة وقلما ... عرف (التسامح) في الحياة خليلا
أسفي على هذا الفراق وان يعد ... هذا (النبوغ) مجددا تشكيلا
واقلب الطرف الحزين فما ارى ... إلا الورى والموت والترميلا
بلجنة (الفيوم) كيف جزيتنا ... نارا وحزنا فادحا وثقيلا؟!
قد راح يلتمس الشفاء فضنتم ... كم كان روضك للشفاء مليلا(٧)
اسفي! أجل أسفي يدوم فلا تطل ... عتبا علي فلم تكن لتطيلا
مافاتني قبل (التفاؤل) هكذا ... أو كنت اشعر بالحياة ذليلا
ولقد بدأت الى (العلى) مستغفرا ... ثم انتهيت الى الشجون عليلا

(٤) زهور : تألق .
(٥) حيولا اى تغيرا .
(٦) متبولا اى سقيما مذهولا .
(٧) المليل من الطرق المسلوك كثيرا .

عبثا أحاول ان اهدئ لوعتي ... هيهات أشفي الدموع غليلا
سخطي على (الدنيا) واقبح هزلها ... سخط يثير تأججا وصليلا
وانا الذي يا طالما غازلتها ... طربا، وكنت لها كذاك وصولا
مرت شرابا بعد حلو مذاقها ... وجنت على اشهى الثمار اصيلا
لم اشك قبلك من يقيني هكذا ... وكأنما صار (اليقين) مهيلا
وكأنما هذا (الوجود) بأنسه ... أمسى بداجية المصاب عميلا!
لم لا انوح وفي رثائك حسرة ... ارثي لها نفسي وارثي الجيلا؟!
ما كنت أجزع (للممات) وان قسا ... حتى رحلت فساءني تذليلا
أرثي العصامي العظيم المبتني ... مثل (الثبات) لمن يهون ملولا
ارثي (الخلود)... وما (الخلود) بدائم ... في صورة، بل يتبع التعديلا
ما بين ايمان يعد ويضده ... كم تتعب التفسير والتعليلا
رثي وابكي والانام جميعهم ... كالنبت يهضمه الزمان أكولا
الفيلسوف كجاهل، وكلاهما ... يفنى، وما عرف الممات ذهولا
وقليل ثأري أن مثلك فقده ... جعل (القضاء) المستعز خجولا!
وعظيم صبري ان وحيك ملهمي ... صبرا، وعلمك لم يزل منقولا
(سقراط) قبلك (والمسيح) كلاهما ... ضحكا من (الموت) الخؤون مهولا
وضحكت انت من الاساة معزيا ... هما تناجيك المدى وعقولا!

الاسكندرية: ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٧ م — احمد زكي ابو شادي

[لغة العرب] من وقف على هذه القصيدة العامرة الابيات، البديعة المعاني الاخذة بالالباب، يتصور ان لالئها رصفت في عدة اشهر. والذي اعلمنا به احد الثقات ان صاحبها ابتدعها في ساعات مرت بين ٢٧ و ٢٨ تموز (يوليو) في جلستين او فكرتين لاغير.

ومما يجب ان تنتبه له هو انك لاترى في جميع ابياتها خيالا كاذبا، او تصويرا وهميا، بل تلفي الحقيقة مبثوثة في ثنايا كلها بثا عجيبا. وان قيل لنا ان في وادي النيل شعراء ينظمون الشعر نظما رقيقا؛ قلنا لهم: ليس في ذلك النظيم احساس كما في هذه الابيات. ولا تجس فيه اوتار القلب كما يجسها ابو شادي. فلقد نقل طبه للاجسام الى عالم طب الارواح، فنبغ في الطبين النفسي والبدني. ولهذا لا نعجب من لطفي بك جمعة الاستاذ الكبير

وهو كتوم [سكرتير] لجنة النابين حين يكتب الى ناسج البردة ماهذا نصه :

« اهنئك بتلك القصيدة العصماء التي وصلتني في رثاء الدكتور صروف ؛ وانها لمن آيات الشعر العربي الحديث ، وفريدة فريدة ، بل هي بيت القصيد ان كان الشعر كله قصيدة . فنعم الخيال والحقيقة . ونعمت البدعة والموسيقى في الايقاع . ونعمت الدقة والابداع وسيكون لها في الاحتفال اعظم مكانة ان شاء الله » اه .

على اننا نقول : لو كنا من اهل المراهنة لراهنا على انها لن تلقى في اللجنة القادمة إلّا الاعراض عنها ، لاننا نعلم حق العلم ان فؤاد افندي صروف هو صاحب شوقي وشوقي لايريد ان يقوم بجانب مناوىء . ولا سيما اذا كان ذلك المناوىء ممن اقر بفضله وشعره القاضي والداني والرائح والغادي مثل الحكيم احمد زكي ابي شادي .

﴿ اتقاء الهيضة ﴾

Précautions contre le Choléra.

نشرت ادارة الصحة في البصرة بيانا فيه ذكر الوسائل التي تتخذ لمكافحة الهيضة ودونك نصها « بحرفها » :

١ــ منشأ دار الهيضة (الكولرة) من مكروب يخرج مع براز المصاب بها .

٢ــ ان الماء واللبن (الحليب) والاطباق تبعث على انتشار المرض .

٣ــ فيلزم غلي الماء واللبن قبل استعمالهما .

٤ــ الاحتراس الشديد من الذباب . فانه من اهم الوسائط لنقل الجراثيم .

٥ــ الاعتناء بنظافة البيت وازالة جميع الفضلات منه .

٦ــ الاجتناب عن اكل السمك الفاسد والاثمار غير الناضجة . فان هذين النوعين من الطعام يسببان الاطلاق (الاسهال) الذي ربما ادى في الاخير الى الاصابة بالهيضة .

٨ــ عند الاصابة بالاطلاق (بالدايريا) اثناء انتشار الهيضة يلزم مراجعة الطبيب واستشارته فورا .

٩ــ يلزم غسل الايدي قبل تناول الطعام .

١٠ــ على كل شخص ان يخبر « المختار » عند ما يسمع بوفاة احد ما .

١١ــ يلزم التطعيم ضد الهيضة .